من عموم النفع لكل شيء وعكسه كما نحو العلم فانه يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال طائفة
من السلف اذا كثر الناس العلم فعمل بالمعاصي احتبس القطر فتقول البهائم اللهم
زالعصاة عصاة بني آدم فانا منعنا القطر بسبب ذنوبهم واذا كان علم الانسان
يكونه عالما مرجعه الى وجوده ذلك واحساسه في نفسه بذلك وهذا امر موجود
بالضرورة لم يكن لهم ان يخبروا عما في نفوس الناس بانه ليس بعلم بغير حجة فان عدم
وجودهم من نفوسهم ذلك لا يقتضي ان الناس لم يجد واذ لك لا سيما اذا كان المخبرون يخبرون
عن اليقين الذي في انفسهم ممن لا يشكون في علمه وصدقه ومعرفته بما يقول وهذا
حال أئمة المسلمين وسلف الأمة وحملة الحجة فانهم يخبرون بما عندهم من اليقين
والطمأنينة والعلم الضروري كما في الحكاية المحفوظة الكبرى لما دخل عليه متكلمان
احدهما ابو عبد الله الرازي والآخر من متكلمي المعتزلة وقالا يا شيخ بلغنا انك تعلم علم
اليقين فقال نعم انا أعلم علم اليقين فقالا كيف يمكن ذلك ونحن من اول النهار الى
الساعة نتناظر فلم يقدر احدنا ان يقيم على الآخر دليلا واظهر للحكاية في تثبيت الاسلام
فقال ما ادري ما تقولان ولكن انا اعلم علم اليقين فقالا لا صف لنا علم اليقين فقال علم
اليقين عندنا واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها فجعلا يقولان واردات
ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها ويستحسنان هذا الجواب وذلك لان
طريق اهل الكلام تقسيم العلوم الى ضروري وكسبي أو بديهي ونظري فالنظري
الكسبي لا بد ان يرد الى مقدمات ضرورية او بديهية فتلك لا تحتاج الى دليل
والا لزم الدور او التسلسل والعلم الضروري هو الذي يلتزم نفس المخاطب لزوما
لا يمكنه الانفكاك عنه فالمرجع في كونه ضروريا الى انه يعجز عن دفعه عن نفسه فاخبر
الشيخ ان علومه ضرورية وانها ترد على النفوس على وجه تعجز عن دفعه فقالا له ما الطريق
الى ذلك فقال تتركان ما انتما فيه وتسلكان ما اسلكه من الذكر والعبادة فقال الرازي
انا مشغول عن هذا وقال المعتزلي انا قد احترق قلبي بالشبهات ولجب هذه الواردات

فلزم الشيخ مدة ثم خرج من عبادته وهو يقول والله يا سيدي ما ألتج الانبياء تراه هؤلاء
المشبهة يعني المثبتين للصفات فان المعتزلة يسمون الصفاتية مشبهة وذلك انه علم
علما ضروريا لا يمكنه دفعه عن قلبه ان صانع العالم لا بد ان يتميز عن العالم ويكون باينا
منه له صفات تختص به وان هذا الرب الذي تصفه المجسمة انما هو عدم محض
وهذا موضع الحكاية المشهورة عن الشيخ العارف ابي جعفر الهمداني لابي المعالي
الجويني لما اخذ يقول على المنبر كان الله ولا عرش فقال يا استاذ دعنا من ذكر العرش
يعني لان ذلك انما جاء في السمع اخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا
فانه ما قال عارف قط يا الله الا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنة
ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا قال فلطم ابو المعالي على رأسه وقال
حيرني الهمداني حيرني الهمداني ونزل وذلك لان نفس استوائه على العرش
بعد ان خلق السموات والارض في ستة ايام علم بالسمع الذي جاءت به الرسل
كما أخبر به في القرآن والتوراة واما كونه عاليا على مخلوقاته بائنا منهم فهذا أمر علم
بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها بنو آدم وكل من كان بالله اعرف وله أتقى وعارف
له وقابله له اكثر واكثر كان علمه الضروري بذلك اقوى واكمل فالفطرة مكملة بالفطرة
المنزلة فان الفطرة تعلم الامر مجملا والشريعة تفصله وتبينه وتشهد بما لا تستقل الفطرة
به فهذا هذا والله اعلم والحاصل ان كل من استحكم في بدعته يرى ان يطرد قياسه
لما فيه من التسوية بين المتماثلين عنده وان استلزم ذلك كثرة مخالفة النصوص وهذا موجود
في المسائل العلمية الخبرية والمسائل العملية الارادية تجد المتكلم قد يطرد قياسه طردا مستمرا
فيكون ظاهر الامر اجود ممن نقضها وتجد المستن الذي شركه في ذلك القياس قد يقول ما يناقض
ذلك القياس في مواضع مع استشعار التناقض تارة وبدون استشعاره وهو الاغلب
ومن هنا يدخل بشر وغيره نقض علته والتفريق بين المتماثلين فيما يظهر انه دون
الاول في العلم والخبرة وطرد القول وليس كذلك بل هو خير من الاول فان ذلك القياس

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)